

## افتتاحية العدد

تتجلى أهمية علم النفس في الأدوار التي يقوم بها داخل المجتمع. إذ يعتبر عالم النفس فاعلا أساسيا في حياة الإنسان المعاصر. وأضحت جمعيات علم النفس تستنشر في وضع مخططات التنمية وبرامج الإصلاح. وتستعمل نتائج الأبحاث السيكولوجية في التخطيط لتحديث القطاعات الاجتماعية الحيوية، كالتربية والصحة الذهنية.

ولكي ينخرط علم النفس أكثر في تنمية المجتمع، يجب أن يقترب من مشاكله وقضاياها. وكلما تراجع تفاعل علم النفس مع ما يجري في المجتمع، أثر ذلك على حضوره وإسهامه في فهم التغيرات التي تعتمل في ثناياه. ويعتبر علم النفس الغائب الكبير في المجتمع العربي. ولعل أبرز مؤشر على ذلك هو أن علم النفس لا يوفر حاليا أدوات مناسبة للتدخل في حل المشاكل التي تواجه المجتمع. وإخفاق علم النفس في العالم العربي ليس أكاديميا أساسا، بل تطبيقيا أيضا، إذ يجب أن يضع رهن إشارة الأفراد والجماعات استراتيجيات تدخل في مياين مختلفة كالصحة الذهنية أو الصعوبات التي تعترض عمل المؤسسات الاجتماعية المختلفة كالمدرسة. وليس ثمة سبيل آخر لكي يصبح علم النفس في خدمة المجتمع سوى أن يعرض وينوع الخدمات التي يمكن أن يوفرها له. وأظهرت تجارب المجتمعات الأخرى أن علم النفس أسهم بفعالية في تحول وتطور هذه المجتمعات.

وبناء على ذلك، لا يكفي أن يكون علم النفس موجودا في الأقسام والمختبرات، بل يجب أن يترك أثره في التحولات التي يعرفها المجتمع. ومن هذا المنظور، فعلم النفس يمكن أن يفيد المجتمع أكثر طالما أصبح البحث السيكولوجي موجهًا أكثر بحل المشاكل التكيفية وتحليل الظواهر النفسية وتطوير برامج من أجل تحسين أداء الأفراد والجماعات. ولعل أكبر خدمة يستطيع عالم النفس أن يقدمها للمجتمع هي أن يضع هذا الأخير أمام صورته الحقيقية، أو في مواجهة مشاكله، أي أن يشخص التعثرات والإخفاقات ويقترح الحلول. وقد عرف علم النفس في العالم العربي تحولا كبيرا، غير أن هذا الأمر لم يفض إلى تحسن الخدمات التي يقدمها للمجتمع. ولم يظهر بعد النموذج السيكولوجي العربي الذي يعكس توظيف المعطيات السيكولوجية في فهم وتفسير التحولات الكبرى التي يعرفها المجتمع العربي. وما من شك أن ازدياد عدد الدراسات السيكولوجية يمكن اعتباره منبئا بتزايد إسهام علم النفس في تحليل وفهم الظواهر السيكولوجية. لكن لا يمكن أن يتطور علم النفس من دون أن يكون هذا الأخير جزءا من رؤية النهضة الاجتماعية. فعلم النفس يجب ألا يتردد في عرض ما يمكن أن يوفره من خدمات، بما في ذلك منظوره لتنمية المجتمع، وأدواره في المجتمع. وهناك حاليا لبس في تحديد وظائف علم النفس الأكاديمية (البحث والتكوين) ووظائفه الاجتماعية والتطبيقية. فالمعرفة السيكولوجية يجب أن تتحول إلى أداة قابلة للاستعمال في البيئات الاجتماعية المختلفة. ويجب ألا يهمل عالم النفس العربي أن يضع تصورا جديدا لوظيفة علم النفس تتناسب مع التحولات التي تجري في المجتمع.

ويرتبط التزام علم النفس بقضايا المجتمع بتحليل وفهم الظواهر السيكولوجية المحلية. وينبغي أن يجمع بين سيرورة جمع المعطيات عن المشاكل التكيفية للأفراد والجماعات، وسيرورة تصميم وبناء أدوات تدخل مناسبة لتجاوز الإخفاقات التكيفية في مجموعة من الوضعيات الاجتماعية. ولا يمكن أن يفرض حضوره في المجتمع، إلا إذا عزز الخدمات التي يمكن أن يسديها إليه. وقد مضت المرحلة التي لم يكن فيها تأكيد على ضرورة استغلال المعطيات السيكولوجية وتطبيقها. ثم إن انغلاق علم النفس على ذاته لن يقود سوى إلى عزله وغيابه عن قضايا مجتمعه. لذلك كلما ابتعد عالم النفس عن مشاكل الناس، أثر ذلك على تطوره.

ولا يختلف إثنان على أن علم النفس صار أحد أعمدة تطور وتحول المجتمعات الإنسانية، ويندر أن يكون هناك قطاع أو ميدان لا يحتاج إلى خدمات عالم النفس. وتبين أن علم النفس أصبح فاعلا رئيسيا في حياة الإنسان المعاصر. فعالم النفس يتدخل في حل مشاكل الأفراد والجماعات (الصغيرة والكبيرة)، إذ يساعد الأفراد على تجاوز مشاكلهم التكيفية، ويساعد الأسرة والمدرسة على التحكم في التغيرات التي تحصل في العلاقات بين عناصرها، كالعلاقة بين الزوجين، أو بين الأبيوين والأبناء. وليس ثمة ميدان لا يوجد فيه مكان لعلم النفس. وعموما حيثما يوجد الإنسان، هناك حاجة إلى خدمات عالم النفس.

ويتضمن العدد الحالي للمجلة العربية لعلم النفس مجموعة من الدراسات، وقد تناولت الوساطة الأسرية، ودور الذاكرة العاملة في سرعة التعرف على الكلمات ونمو الذاكرة العاملة لدى الطفل والعمليات المطامعرفية، وجودة الحياة لدى التلاميذ. إضافة إلى مجموعة من المقاييس، كمقياس صورة الذات وصورة الآخر في العلاقة العلاجية ومقياس الشحنة الزائدة للضغط واستبيان الشعور بالوحدة النفسية. وإلى جانب ذلك، اهتمت أبحاث أخرى بالصورة الأبوية لدى الطفل اليتيم، والواقع الدراسي لدى الطالب الجامعي والقيم الأخلاقية لدى الأطفال الجانحين، والتوحد. وإجمالاً، فقد غطت هذه الدراسات ظواهر ذهنية مختلفة. وفي الأخير نتمنى أن تفيد محتويات هذا العدد علماء النفس والقارئ العربي عموماً.

رئيس التحرير.